خطبة صلاة الجمعة 4/2/2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

## (السخاء عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمدا ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة الثامنة عشرة في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي ﷺ، وكيف نتحلّى بها).

وعنوان خطبة اليوم:

**السخاء عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به**

**أيها الإخوة:**

السَّخَاءُ هو الاتساع في الإنفاق على ما يفيد، أو هو إنفاق ما ينبغي إنفاقه في الوجه الذي ينبغي الإنفاق فيه، والسخاء هو الجود، والسَّخِيُّ هو الجَوَادُ.

أخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**السَّخِيُّ قريب من الله، قريب من الناس، قريبٌ من الجَنَّةِ، بَعِيد من النار، والبَخِيلُ بَعِيد من الله، بَعِيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، ولجَاهِل سَخيٌّ أحبُّ إلى الله تعالى من عابد بخيل**».

ومن المعروف في سننِ الله الحكيمة: أنّ السخي يفوز بالحياة الطيبة، ولا تكون عاقبته إلا الرعايةَ من الله والكرامة.

قالت سيدتنا خديجة رضي الله عنها للرسول ﷺ: "والله! لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".

وإذا كان حديث اليوم عن السخاء عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1-أخرج الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء فقال: لا**»

وعن أنس رضي الله عنه «أنّ رجلا سأله، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى بلاده، وقال: أسلموا، فإنّ محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة».

وحُمِل إليه ﷺ تسعون ألف درهم، فوُضِعتْ على حصيرٍ، ثمّ قام إليها يقسّمها، فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها» إنها صورة من صور السخاء عند النبي ﷺ.

2- أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر، وكنت على جمل ثَفَال (أي بطيء السير)، إنما هو في آخر القوم، فمر بي النبي ﷺ، فقال: «من هذا؟» قلت: جابر بن عبد الله، قال: «مالك؟» قلت: إني على جمل ثفال، قال: أمعك قضيب؟ قلت: نعم. قال: «أعطنيه»، فأعطيته، فضربه وزجره، فكان من ذلك المكان في أول القوم، قال: «بِعْنِيهِ»، فقلت: بل هو لك يا رسول الله، قال: «بل بِعْنِيهِ، قد أخذته بأربعة دنانير، ولك ظهره إلى المدينة»، قال: فلما قدمنا المدينة، قال: «يا بلال، اقضه، وزده»، فأعطاه أربعة دنانير، وزاده قيراطاً، وردّه علي، وقال: خذ جَمَلَكَ، ولك ثَمَنُه.

هذه صورة من صور السخاء عند النبي ﷺ.

3- أخرج البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثمّ سألته فأعطاني، ثمّ سألته فأعطاني، ثمّ قال: «يا حكيم، إنّ هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالّذي يأكل ولا يشبع، اليد العليا خير من اليد السّفلى»، قال حكيم: فقلت: يا رسول الله! والّذي بعثك بالحقّ لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتّى أفارق الدّنيا، فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه، ثمّ إنّ عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئاً، فقال عمر: إنّي أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أنّي أعرض عليه حقّه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من النّاس بعد رسول الله ﷺ حتّى توفّي».

والحاصل أنّ السخاء خُلُقُ النبي ﷺ، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون خلقَك، وأن تكون معروفاً به.

جاء في طبقات ابن سعد: جلب رجلٌ من أهل البصرة سُكّراً إلى المدينة فكَسَد عليه، فذُكر لعبد الله ابن جعفر، فأمر عاملَه أن يشتريه منه ويوزعه على الناس من دون عوض.

فمن صور السخاء جبر الكسير ما دمت قادراً على جبره، والسخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة.

كان لعثمان رضي الله عنه خمسون ألف درهم ديناً على طلحة بن عبيد الله، فجاءه طلحة يوماً، وقال له: قد تهيأ مالك، فاقبضْه، فقال عثمان: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك.

فمن صور السخاء من يكون له دين على آخر فيطرحه عنه أو بعضَه، ويخلي ذمته منه، والسخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة.

اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل، سمع بكاء أهل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ فقالوا: يبكون لدارهم، فقال: يا غلام! ائتهم، فأَعلمْهم أنّ المال والدار لهم جميعاً.

فمن صور السخاء مَن يقيلُ نادماً بيعه أو شراءه، والسخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة.

أصاب الناس قحطٌ في خلافة أبي بكر الصديق، فلما اشتد بهم الأمر، جاؤوا إلى أبي بكر وقالوا: يا خليفة رسول الله، إن السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، وقد توقع الناس الهلاك، فما نصنع؟ فقال:

انصرفوا واصبروا، فإني أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم، فلما أصبحوا وفدت المدينة قافلة فيها ألف بعير موثوقة براً وزيتاً ودقيقاً، فأناخت بباب عثمان رضى الله عنه، فجعلها في داره، فجاء إليه التجار، فقال: ما تريدون؟ قالوا: إنك تعلم ما نريد، فقال: كم تربحوني؟ قالوا: اللهم درهمين. قال: أُعطيت زيادة على هذا. قالوا: أربعة. قال: أُعطيت أكثر قالوا: خمسة. قال: أُعطيت أكثر. قالوا: ليس في المدينة تجار غيرنا، فمن الذى أعطاك؟ قال: إن الله أعطاني بكل درهم عشرة دراهم، أعندكم زيادة؟ قالوا: لا قال: فإني أشهدكم أني جعلت ما حملت العير صدقة لله على الفقراء والمساكين.

فمن صور السخاء: من يكثر صدقاته على الناس زمن الشدة والغلاء، والسخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة.

كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين زين العابدين، فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل، وقال بعضهم: ما فقدنا صدقة السر حتى توفي علي رضي الله عنه.

فمن صور السخاء: من يرسل لعائلات ضعيفة نفقاتهم، وهم لا يعرفونه، والسخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة.

كان عبد الله بن المبارك ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث. قال: فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب، فسأل عنه فقالوا: إنه محبوس لدَين ركبه. فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ قالوا عشرة آلاف درهم فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه ألا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً. وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس.

وأدلج عبد الله وأُخْرِج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان ها هنا وكان يذكرك، وقد خرج، فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال: يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان؟ قال: نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين. قال: وكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس. فقال له عبد الله: يا فتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك. فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد موت عبد الله.

فمن صور السخاء: من يقضي عن الناس تبعاتهم ويخفي ذلك عنهم، والسخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة.

**أيها الإخوة:**

أربعةٌ تنمي خلق السخاء: كثرة ذكر الله، وصحبة أهل الجود والكرم، ومجاهدة النفس، ولزوم مجالس العلم.

**أولها: الإكثار من ذكر الله:** لأن من أكثر من ذكر الله أحبه، ومن أحبه أحب خَلْقَه، فبادَرَ إلى عونهم ومساعدتهم وعطائهم؛ لأن المنسوب إلى المحبوب محبوب، والمنسوب لجانب الحق تنبغي مراعاة نسبته.

**ثانيها: صحبة أهل الجود والكرم:** لأن الصاحب يعدي.

**ثالثها: مجاهدة النفس:** لأن النفس تحب الاستئثار بالخير وحدها دون الآخرين، فعليك بمجاهدتها لتمضي في سبيل الخير.

درِّبها على العطاء والكرم فإنما الحلم بالتحلم، وإنما العلم بالتعلم، وإنما الكرم بالتكرم.

**رابعها الأخير: لزوم مجالس العلم:** لأنَّ العلم ينبيك بأن **«السَّخِيُّ قريب من الله، قريب من الناس، قريبٌ من الجَنَّةِ، بَعِيد من النار. والبَخِيلُ بَعِيد من الله، بَعِيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، ولجَاهِل سَخيٌّ أحبُّ إلى الله تعالى من عابد بخيل»** (الترمذي).

والحاصل من أراد أن يصير سخياً فعليه بكثرة ذكر الله وصحبة أهل الجود والكرم ومجاهدة النفس ولزوم مجالس العلم.

**أيها الإخوة:**

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ فإنه من صلّى عليه صلّى عليه ومن سلّم عليه سلّم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه ﷺ وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين